العامل مجاهداً في سبيل الله

المكان: طهران

المناسبة: يوم العامل.

الحضور: جمع كبير من العمال.

الزمان: 8/2/1389هش ـ 13/5/1431هق ـ 28/4/2010م

4321

أيام أسبوع العامل لا تختص بالعمال الأعزاء فقط، بل هي لكل الإيرانيين، فطبقة العمال في الحقيقة من الصفوف المتقدمة للسعي العام في البلاد وبين أبناء الشعب من أجل بناء الغد.

ما يقوله الإسلام حول العامل ـ بالمعنى العام للكلمة ـ ليس مجاملات. حينما ينحني رسول الإسلام العظيم ويقبل يد العامل فلا يمكن حمل ذلك على عمل يراد منه المجاملة، إنما هي صناعة ثقافة ودروس يراد منها تثمين أيدي العمال الماهرة وسواعدهم الناشطة في الأمة الإسلامية وعلى مرّ الزمان والتاريخ. إننا ننظر للعمال من هذه الزاوية. العامل البسيط، والعامل الماهر، والمهندس، والمصمم، وكل الذين يبذلون جهودهم في سلسلة العمل والإنتاج مشمولون بتكريم الإسلام وتقديره.

مطاليب العمال ـ المطاليب المادية ـ محفوظة في موضعها، ومن واجب الجميع متابعة هذه المطاليب المادية الحقة وتحقيقها، ولكن ثمة أيضاً مطلب معنوي ألا وهو منـزلة العامل والاهتمام بجهوده ومساعيه، وأن يفهـم أن مـا يقوم به إنما هو جهاد. هذا شيء مهم. العامل خلف الماكينة أو عند التصميم ورسم الخرائط أو عند العمل في المزرعة، أوفي أي موضع يـتم فيـه إنتـاج العمل، إنما ينتج شيئاً ويجب أن يشعر ويعلم أنه يقوم بعمل مهم لـه قيمتـه. هذا ما يروم الإسلام بيانه. هذه هي عقيدتنا القلبية. ثمة بون كبيـر بـين هـذه النظرة ونظرة العالم المادي، سواء العالم الرأسمالي أو العالم الاشتراكي الذي ينظر للعامل باعتباره أداةً. في العالم الرأسمالي قد يتمتع بعض العمال بوضع مادي جيد ـ وهذا الشيء ليس عاماً بالطبع، إنما البعض منهم يتمتعون بوضع مادي جيد ـ لكنهم يبقون في أعين أرباب العمل ومخططـي شـؤون العمـل والإنتاج مجرد أدوات، أشبه بالبراغي والصـامولات، ومـا قيمتـه إلا حينمـا يستطيع تقديم قيمة مادية لهم وخلق المال لهم. هناك فرق كبيـر بـين هـذه النظرة للعامل وبين نظرة ترى العامل مجاهداً في سبيل الله بسبب ما يقوم بـه من عمل، وفوق كل الأجور المادية فإن له أجراً إلهياً وقيمـة إلهيـة وثوابـاً إلهياً. هاتان الرؤيتان تختلفان عن بعضهما اختلافاً كبيراً. هذا شيء ضـروري ويمثل حاجة حقيقية.

في النظام الإسلامي وفي الجمهوريـة الإسـلامية العزيـزة فـي بلادنـا، خرجت طبقة العمال منذ مطلع الثورة وإلى اليـوم مـن اختباراتهـا مرفوعـة

الرأس ناجحة. خلال فترة الدفاع المقدس، شهد جميع من كانوا هناك مشاركة طبقة العمال العظيمة، عمال المدن وعمال القرى، وعمال الصناعة والعاملين في الزراعة، وعمال الخدمات وسواهم، شهد الجميع مشاركتهم في الميادين العسكرية أو مجالات الإسناد العسكري، ولاحظ الكلُّ أي دور مارسه العمال الإيرانيون في تلك الأعوام الثمانية. وما عدا ذلك خرج العمال في نظام الجمهورية الإسلامية منذ بداية الثورة وإلى اليوم ناجحين أبهر النجاح من الامتحانات التي مروّا بها.

تعلمون أن طبقة العمال والشعارات السياسية التي تصطنع لهذه الطبقة في العالم، كانت دوماً من أوراق الضغط على الحكومات. وفي نظام الجمهورية الإسلامية حاول بعض الأعداء منذ البداية استخدام ورقة الضغط هذه ضد الجمهورية الإسلامية. أنا بنفسي ذهبت في أيام التاسع عشر، والعشرين، والحادي والعشرين، والثاني والعشرين من بهمن سنة 57، ذهبت عدة أيام متوالية إلى أحد المعامل في طريق كرج بسبب حادث أو خبر وصلنا. أخبرنا العمال أنفسهم، ووصلنا الخبر من المعمل بأن البعض من التابعين للزمر الماركسية واليسارية توجهوا إلى هناك ويريدون جعل المعمل مقراً لهم ـ وتعلمون أن تلك المنطقة تضجّ بالعمال، ففي طريق كرج القديم الكثير من المعامل المتراصة ـ وكانوا يريدون تجميع العمال هناك والتوجّه بهم إلى بيت الإمام ونحو مدرسة «علوي» حيث كان يقيم الإمام ليسيطروا حسب ما توهموا على الأوضاع. ذهبت إلى هناك. وكان في ذلك المعمل

نحو ثلاثمائة أو أربعمائة عامل. والذين كانوا قد تجمعوا في الصالة يقدرون بسبعمائة أو ثمانمائة شخص. بمعنى أن هناك أفراداً من غير العمال قد حضروا. كنت أذهب لذلك المعمل عدة أيام، أذهب صباحاً وأعود عصراً، أو أذهب صباحاً وأعود ليلاً، وفي أحد الأيام وقفت سبع ساعات خلف المنصة ولاقطة الصوت أتحدث وأتحدث، وجاء شخص من أولئك ورفع الشعارات وتحدث وأجبته وأقنعته، وأخيراً أخرج العمال أنفسهم ذلك الفريق المخرب من المعمل. منذ ذلك الحين وإلى اليوم وضع أعداء الإسلام والجمهورية الإسلامية ضمن خطة عملهم رفع شعارات سياسية والإمساك بطبقة العمال كأداة ضغط على الإسلام والنظام الإسلامي. منذ ثلاثين سنة وهم يسعون سعيهم ويحاولون استخدام هذه الورقة ضد نظام الجمهورية الإسلامية، ومنذ ثلاثين سنة وهم يتلقّون الصفعات من قبل عمّال البلاد. هذه هي معرفتنا بطبقة العمال. هذه هي العلاقة الحميمية بين طبقة العمال والنظام الإسلامي، المرتكزة على الإيمان وعلى الركن الركين الذي تأسس عليه النظام الإسلامي. لذلك سوف تتقدم مسيرة البلاد نحو الإنتاج وبمحورية العمال والمنتجين ـ من عمال وأرباب عمل ـ ولن يكون بوسع المسيئين الإخلال في هذه المسيرة.

طيب، لننظر الآن إلى ماهية القضية. التقدم المادي للبلاد يتوقف بالدرجة الأولى على عنصرين: العنصر الأول هو العلم، والعنصر الثاني هو الإنتاج. إذا لم يكن ثمة علم تلكأ الإنتاج أيضاً. البلد يتقدم بالعلم. إذا كان

هناك علم ولكن لم يحصل إنتاج وتكامل وتطور على أساس هذا العلم سوف يبقى البلد يراوح. وقد كان العيب والنقص خلال فترة حكم الطواغيت هو أننا لم نكن نمتلك العلم، ولأننا كذلك لم يكن لدينا إنتاج قائم ومتقدم ومتطور على أساس العلم. لذلك حينما دخل العالم حيّز الصناعة وتقدم في هذا المجال تقدمت القارة الآسيوية التي دخلت ساحة الصناعة بعد أوربا، أما نحن فبقينا متخلفين نتيجة حكم الطواغيت والظروف المختلفة. وإذا أردنا التعويض ـ ونحن نريد ذلك وقد تحرك شعبنا وحقق تقدماً جيداً ـ فعلينا الاهتمام بالعلم والإنتاج، ومتابعة ذلك في مراكز العلم والبحث العلمي وبأشكال حديثة جديدة. منذ سنوات وأنا أشدد على مسألة العلم، والحمد لله فقد تحركت عجلات التقدم العلمي وإنتاج العلم في البلاد، وطبعاً ينبغي زيادة سرعتها فنحن لا نزال في بداية الطريق.

وثانياً: الإنتاج. الإنتاج في حيّز الصناعة وفي مجال الزراعة يحتل المرتبة الأولى من الأهمية. البلد الذي لا يكون فيه إنتاج سيكون تابعاً شاء ذلك أم أبى. حتى لو كان كل نفط العالم وغازه كامناً في جوف أراضينا وفي آبارنا لما نفعنا ذلك شيئاً. وترون أنه توجد بلدان ثرية للغاية من حيث احتياطات المعادن والطاقة والفلزات الثمينة النادرة، لكنهم يعيشون حياة تعيسة ذليلة على الأرض التي تحمل في داخلها كل تلك الكنوز. ينبغي تطوير الإنتاج في البلد، وخصوصاً الإنتاج القائم على العلم والمهارات العلمية والتجريبية. وهذا ما يتم على أيدي العمال وأرباب العمل. وإدارة ذلك تقع على عاتق الحكومة

إذ عليها التنظيم والبرمجة والعمل. وبوسع سياسات المادة 44 التي أعلنّا عنها قبل سنوات وأبلغناها للأجهزة الحكومية والتشريعية أن تمارس دورها في هذا النطاق، ولكن يتعيّن على الجميع توخّي الدقة والحذر.

الإنسان مخلوق عجيب يا أعزائي! أحياناً تغدو حتى العبادة وصلاة الليل أداةً لتغلغل الشيطان وخداع النفس البشرية بأن صاحبها يصلي صلاة الليل! كل الأفكار الحسنة الشريفة يمكن أن تتحول إلى منافذ للشيطان. سياسات المادة 44 شيء جيد جداً وضروري وينبغي تطبيقها بالتأكيد على نطاق واسع. ولكن يتعين الحذر من أن تتحول إلى فخ شيطاني رغم إيجابيتها.. كصلاة الليل. من هنا أيضاً يمكن للشياطين أن يتوغلوا. قلت مراراً أن الاستغلاليين والانتهازيين والعلماء بالقانون الخارقين له، والذين يعرفون كيف يخدعون المأمورين والمسؤولين والرؤساء والمرؤوسين والناس في الشوارع والأزقة من أجل الوصول إلى طعم معين، يأتي هؤلاء ويشتروا المعمل ثم يعطلوه بذرائع شتى ويتركوا العمال عاطلين عن العمل، ثم يعيدون تكاليف شراء المعمل ببيع مكائنه القديمة، ويكسبون المليارات وآلاف وألوف من بيع أراضي المعمل. هذه أمور حصلت، ويمكن أن تحصل، وينبغي على الجميع الحذر منها.

القضية الأخرى في مجال العمل هي العلاقة بين العامل ورب العمل. كلا المنهجين الدارجين في زماننا ـ المنهج الاشتراكي والمنهج الرأسمالي ـ خاطئ. في المنطق الاشتراكي كان العامل وربّ العمل عدوّين يقفان بوجه

بعضهما ويتعطشان لدماء بعضهما.. هذا هو تحليلهم. والحل الذي قدموه كان باطلاً ضعيفاً خاطئاً: ملكية الحكومة لكل مصادر الإنتاج وأدواته، والتي أدت بعد عدة عقود إلى تلك الفضيحة. كانت هذه نظرة تقرر حالة عداء وصراع بين العامل وربّ المعمل. والنظرة الأخرى هي نظرة المنطق الغربي التي تعتبر ربّ العمل سلطاناً مسلطاً على العامل ومالكاً له وترى العامل أداة بيد ربّ العمل وتحت تصرفه. هذا بدوره إهانة لشخصية الإنسان، ورؤية خاطئة تماماً. كلا النظرتين خاطئة!

ليست هذه نظرة الإسلام. نظرة الإسلام نظرة التعاون، فهذان عنصران إذا تركّبا سوف ينتجا العمل. خلافاً للنظرة اليسارية والماركسية التي تقيم كل شيء على أساس التناقض ـ وقد محيت من صفحات الفكر الفلسفي في العالم والحمد لله ـ يتجه الإسلام نحو رؤية الوئام والتعاون. بدل أن يكون هذان العنصران على الضد من بعضهما لينتجا شيئاً ثالثاً، يلتئمان ليوجدا شيئاً ثالثاً. هذه هي نظرة الإسلام، وهي النظرة الطبيعية، ونظرة السنة الإلهية وقوانين الخلقة. وكذا الحال بالنسبة لكل قضايا العالم من طبيعية وسياسية وتاريخية واقتصادية وغير اقتصادية. نظرية الإسلام، في مقابل نظرية التناقض الماركسية، هي نظرية الالتئام والائتلاف والتزاوج والمواكبة والتكامل. وكذلك الحال بالنسبة لقضية العامل وربّ العمل. هذان عنصران يجب أن يضعا أيديهم في أيدي بعضهم حتى يظهر العمل إلى النور ويكون ثمة إنتاج. العامل من دون ربّ العمل لا يستطيع فعل شيء، ورب العمل من دون

العامل لا يستطيع فعل شيء. يتموضع هذان إلى جـوار بعضـهما فـي إطـار علاقة سليمة وأخلاقية وإنسانية، وعندئذ تكون الأجواء أجواء تنمية الإنتاج. وفضلاً عن التقدم المادي ستتوفر الحالة المعنوية. هذه هي نظرتنـا. لا تعتبـر رب العمل ملعوناً مطروداً كما يراه التيار اليساري، ولا نعتبره سلطاناً بيده كل شيء كما يريد التيار اليميني. كلا، رب العمل يمكن أن يكون عنصراً شـريفاً ـ إذا تعاون حقاً كان شريفاً حقاً ـ إلى جانب عنصر شريف آخر هو العامل. يضعان يداً بيد ويسيران حسب علاقات إنسانية وإسلامية واضحة. هـذا هـو أساس العمل. على الجميع العمل بهذا الاتجاه. وعلـى العامـل نفسـه وربّ العمل نفسه أن يحاولا بكل إخلاص التقدم بالإنتاج في البلد إلى الأمام.

أعزائي، نحن متأخرون. طبعاً إذا قارنّا الأمور بما كانت عليه فـي زمـن الطاغوت سنكون متقدمين جداً. في عهد الطاغوت كنا بحاجة للأجانب مـن أجل أصغر الأشياء فـي منظومـة الإنتـاج والمكـائن والمعامـل والصـناعة. والمعامل التي كانت تؤسس كانت معامل مونتاج تابعة للأجنبي مائة بالمائة. لم نكن نجيد التصميم ولا الصناعة ولا معرفة العناصر اللازمة. كان يجب أن نأخذ كل شيء من الأجانب ونطلبه منهم ونتوسل إليهم.. نعطي النفط ونعطي المال ونعطي ماء الوجه والسمعة، ونعطي الاقتدار السياسي ونخضع لهيمنتهم لنحصل على شيء. واليوم يصدِّر الشعب الإيراني خدماتـه التقنيـة. بلـدكم اليوم من أبرز البلدان وفي المراتب العليا عالميـاً فـي مجـال بنـاء السـدود ومحطات الطاقة. فأين هذا من ذاك؟ الأعمـال التـي تقومـون بهـا حاليـاً ـ

الأعمال الصناعية والتقنية ـ لها من يشتريها في الكثير من بلدان العالم. إنكم تؤسسون خطوط إنتاج في العديد من بلدان العالم. هذا الشيء لم يكن له معنى إطلاقاً في عهد الطاغوت. نذهب ونؤسس خطوط إنتاج صناعية لبلد عدد سكانه كبير وقد يكون نفطياً وثرياً؟! هذا الكلام لم يكن له معنى آنذاك، وقد تحقق اليوم. إذن، نحن متقدمون تقدماً كبيراً بالمقارنة إلى الماضي. لكننا متأخرون بالقياس إلى ما هو شأن الشعب الإيراني ومكانته وما يستدعيه تراثنا التاريخي، وما ينبغي لإيران أن تكونه بين بلدان العالم. لذلك يجب أن نتقدم. هناك الكثير من الأعمال الضرورية يجب إنجازها. حينما أقول «الهمّة المضاعفة» فهذا هو السبب. لا تقتصر هممنا على أن نرفع هذا الحجر من طريقنا ـ هذا ليس بالشيء الكبير ـ إنما يجب أن تتعالى هممنا إلى مستوى الصعود إلى القمم. هذا هو معنى الهمّة المضاعفة. وهذا لا يأتي مجاناً، ولا يحصل بمجرد الكلام والمجاملات والمديح، إنما يحصل بالنزول الحقيقي إلى ساحة العمل والإبداع.

همة العامل، وهمة المهندس، وهمة المصمم، وهمة الباحث العلمي في مراكز البحث والتحقيق ـ المراكز التي تدعم المشاريع علمياً ـ وهمة ربّ العمل والباذل والمموّل، وهمة المسؤول الحكومي.. هذه الهمم كلها يجب أن تتضاعف وتزيد، وهو أمر ممكن. إمكانياتنا أكثر من هذا بكثير يا أعزائي أحياناً يقترح المرء على الإنسان شيئاً فوق طاقته وأكبر من إمكانيته. هذا الشيء ليس عقلانياً ولكن أحياناً تنظرون إلى شاب وجسمه وعضلاته وترون

أن بمقدوره أن يكون مصارعاً من الدرجة الأولى، أو لاعب جمباز من الطراز الأول، أو رياضياً كبيراً في المجال الفلاني.. يمكنه أن يكون نجماً، فتقولون له: حاول وأسع سعيك. هذا يختلف عن إنسان ضعيف لم يمارس الرياضة لمدة عشرين سنة ولا يمكنه أن يكون مصارعاً جيداً. الشعب الإيراني أشبه بذلك الشاب الموهوب المتناسق البدن وصاحب الإمكانيات الذي إذا بذل سعيه اللازم استطاع أن يصل إلى القمة ويحقق النجومية. هكذا هو الشعب الإيراني، وقد أثبت ذلك. هذا ليس ادعاء ولا هو شعار، بل هو واقع تجلّى لنا من خلال الدراسات. تجارب الأعوام الثلاثين المنصرمة جعلت هذا الأمر واضحاً بالنسبة لنا كالشمس في رابعة النهار.

الشعب الذي لا يساعده أحد، وتغلق في وجهه أبواب المنتوجات الصناعية والتقدم التقني، وإذا به ينتج بنفسه الجيل الثاني والثالث والرابع من أجهزة الطرد المركزية، ويبهت كل أصحاب الطاقة والصناعات النووية في العالم. من أين تعلموا هذا؟ الشعب الذي لم يساعده أحد في علوم الأحياء، وإذا بهم ينظرون فجأة فيرون أنه ينتج ما ينتج من الخلايا الجذعية. كم من البلدان في العالم يستطيعون فعل ذلك؟ سبعة أو ثمانية أو تسعة بلدان. من بين كل هذه البلدان وكل هذه الادعاءات، يقفز هذا البلد فجأة من المرتبة المائتين مثلاً إلى المرتبة الثامنة. عن ماذا ينمُّ هذا؟ ألا ينمُّ عن موهبة خارقة؟ في بداية الحرب لم نكن نعلم ما هو الآر. بي. جي ـ الآر. بي. جي صاروخ صغير، والذين كانوا في الحرب شاهدوا ذلك وجربوه مراراً ـ لم يكن لدينا

ولم نكن نعرفه ولم يكن من أسلحتنا المعتمدة، والآن بعد مضي عدة سنوات ورغم ظروف الحظر والمحاصرة يصنع بلدنا صاروخ »سجيل« ويصنع صواريخ تحمل أقماراً صناعية، والعالم يقف هكذا وينظر بذهول. وقد أنكروا ذلك في البداية وقالوا: إنهم يكذبون، ولا يستطيعون، لكنهم وجدوا بعد ذلك أن الأمر واقع. وكذا الحال في كل القطاعات. ما معنى ذلك؟ معناه أن هذا الشاب موهوب جداً، وأن هذا الشعب له إمكانيات وقابليات كبيرة، وأن هذه الطاقات البشرية مهمة وقيمة جداً ويجب الاستفادة منها. إذن، نحن قادرون. هذا هو معنى الهمّة المضاعفة، أي نقل الإمكانية الكامنة إلى الفعل.

والعالم الذي يصطف بوجه إيران ويكشّر لها عن أنيابه ويعرض أظفاره الدامية ويسيء أخلاقه ويمارس العرقلة والتعثير أينما استطاع إلى ذلك سبيلاً، هو العالم الاستكباري. العالم الخاضع للنظام الرأسمالي الظالم الجائر. هذا العالم ليس بوسعه أن يطيق هذا الوضع لأنه خارج قاعدته، لذلك نراه يواجهه ويعاديه، وأنتم تلاحظون العِداء والإساءة طوال هذه الأعوام الثلاثين. الشيء الذي لم يكن قليلاً وشاهده الجميع وامتلأت منه أعينهم هو العداء والعناد والخبث الذي مارسه أعداؤنا. لكنهم لم يستطيعوا فعل شيء وكونوا واثقين أنهم لن يستطيعوا فعل شيء بعد الآن أيضاً.

نحن نستند إلى ألطاف الله وتوفيقاته، وإلى الإيمان الذي تحدثت عنه في بداية الكلمة والراسخ والمتجذر في قلوبكم وفي قلوب كل واحد من أبناء الشعب الإيراني. حينما يكون هذا الاستناد والتوكل والاعتماد، ويبذل الإنسان مساعيه وطاقته، سيكون (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ذلك إيمانكم وهذا العمل الصالح. كل هذه الوعود الحسنة التي وعد بها المؤمن

ذو العمل الصالح في القرآن الكريم ـ الانتصار في الدنيا، والفلاح والنجاح في عالم المعنوية والعالم الآخر، والتقرب إلى الله تعالى، والشموخ والعزّ والنصر في الدنيا والآخرة ـ إنما هي نتائج ذلك الإيمان والعمل الصالح. علينا السير في هذا الطريق.

رحمة الله وسلامه على إمامنا الجليل الذي دلنا على هذا الدرب.. هو الذي جعلنا نسير في هذا الطريق.. هو الذي أخذ بأيدينا وأيقظنا بجوهره الإلهي وسار بنا إلى هذا الوادي. كلما تقدم هذا الشعب زاد الله تعالى من حسنات ذلك الرجل الكبير. وسلام الله ورحمته على شهدائنا ومجاهدينا والذين ضحوا في هذا السبيل ووضعوا أرواحهم على الأكف ونزلوا إلى وسط الساحة، سواء هم، أو عوائلهم، وسواء الذين استشهدوا منهم أو الذين أصيبوا وتعوقوا، أو الذين بقوا لشعبنا والحمد لله. أجزل الله الأجر لهم جميعاً. نتمنى أن تشملكم جميعاً توفيقات الباري عزّ وجلّ والأدعية الزاكية لسيدنا الإمام المهدي المنتظر أرواحنا فداه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.